التحولات في مضامين مصطلح الشرق الأوسط في العلاقات الدولية

Transformations in the contents of the term Middle East in international relationships

بوزيدي عبد الرزاق

جامعة محمد خيضر بسكرة، basset.chihab@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/15 تاريخ القبول: 2021/07/12 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على مفهوم الشرق الأوسط، حيث يتضح أن هذا المصطلح لم يكن وليد مرحلة معينة، كما أنه ظل يتوسع أحيانا ليشمل دولا عربية و غير عربية أو ينكمش وفقا لإستراتيجيات و أهداف القوى العظمى المهيمنة، و التي ساعدتها وجود العديد من التناقضات و الإختلافات الثقافية و الهوياتية داخل المجتمعات المشكلة لهذه المنطقة من مرحلة إلى أخرى، و بذلك فقد تغيرت الصياغات السياسية و الجغرافية و المسميات بالنسبة لهذا المصطلح، من الشرق الأوسط الحديد إلى الشرق الأوسط الكبير إلى الشرق الأوسط العظيم، و ذلك كله حسب المفاهيم الأمريكية.

كلمات مفتاحية: الشرق الأوسط.، العلاقات الدولية.، النظام الدولي.، القوى العظمى.

Abstract:

This research paper aims to shed light on the concept of the Middle East, as it is clear that this term was not a product of a certain stage, and it continued to expand sometimes to include Arab and non-Arab countries, or shrink according to the strategies and objectives of the dominant great powers, which were helped by the presence of many cultural and identity contradictions and differences within the societies making-up this region from one stage to another. Thus the political and geographical formulations and names for this term changed, from the New Middle East to the Large Middle East to the Great Middle East; all of this, following the American concepts.

Keywords: Middle East; International relationships; International System; Great Powers.

المؤلف المرسل: بوزيدي عبد الرزاق، **الإيميل:** basset.chihab@yahoo.com

1. مقدمة:

تتناول هذه الدراسة التحولات في مضمون مصطلح الشرق الأوسط في العلاقات الدولية، فمصطلح الشرق Orient الذي يعود إلى العصور القديمة، قد استخدم لوصف البقية The Restمن غير اوربا من خلال دلالات ثقافية بدلا عن الجغرافية لتصوير العالم المعاكس لأوربا لعقود عديدة، فمنذ الحروب الصليبية ربط مصطلح الشرق مع الإسلام والغرب مع المسيحية استنادا إلى اثنين من النظم العقائدية المختلفة، و في هذا السياق يمكننا أن نقول أن الشرق والغرب كانا يعنيان الأفكار و ليس الحدود الجغرافية.

بناءا على ما تقدم ظهرت مصطلحات مختلفة ذات صلة بالشرق الأوسط مثل الشرق الأدنى والشرق الأوسط و الشرق الأقصى وهي مصطلحات أوربية و لا يمكن اعتبارها موجودة و فهمها دون الأخذ بعين الإعتبار لحقيقة الإمبريالية الغربية في القرن التاسع عشر.

و كنتيجة للتطورات السابقة أدخل مصطلح الشرق الأوسط الى أدبيات العلاقات الدولية كمصطلح سياسي حديث، واعتمد أيضا من قبل عدة بلدان في المنطقة مع نهاية الحرب الباردة و خصوصا بعد 11 سبتمبر، حيث أدخلت مصطلحات سياسية جديدة مثل:الشرق الأوسط العظيم والشرق الأوسط الكبير والشرق الإسلامي في المصطلحات اليومية، و ما تجدر الإشارة إليه أن مضمون التعاريف الجديدة التي وضعتها الولايات المتحدة في سياق دمقرطة العالم الإسلامي تتعلق بشكل وثيق بعدة إعتبارات سياسية سيتم التفصيل فيها لاحقا. و تأسيسا على ما تم تبيانه فإن الإشكالية الجديرة بالبحث تدور حول: **ما هي أسباب التحول في مضامين الشرق الأوسط عبر مراحل تاريخية؟**

فرضيات الدراسة: اتساقا مع الإشكالية السابقة، فإن الأمر يستوجب منا فحص واختبار الفرضيات التالية:

1- إن التحولات المستمرة في مضمون مصطلح الشرق الأوسط يرجع بالأساس إلى أهداف و مصالح القوى العظمى التي هيمنت على النظام الدولي عبر مراحل تاريخية مختلفة.

2- الصراعات و الانقسامات الدينية و العرقية و المذهبية داخل منطقة الشرق الأوسط أدت إلى إعادة صياغة مفهوم الشرق الأوسط بشكل مختلف عما سبق.

سيتم الإجابة على الإشكالية من خلال تناول النقاط التالية:

أولا: مصطلح الشرق الأوسط قبل الحرب الباردة.

ثانيا: مصطلح الشرق الأوسط خلال الحرب الباردة.

ثالثا: نهاية الحرب الباردة و تأثيرها على مصطلح الشرق الأوسط

رابعا: التطورات المتعلقة بمصطلح الشرق الاوسط بعد 11 سبتمبر 2001 و أحداث الربيع العربي 2010.

2. مصطلح الشرق الأوسط قبل الحرب الباردة

منذ حوالي خمسة وأربعين عاما أكد الباحث **بيرسي**(**Pearcy**) بأن منطقة الشرق الأوسط هي في الواقع منطقة مجهولة و غير محددة المعالم(**Pearcy, 1964**) ، فهو يرى بأن هناك أنواع مختلفة جدا من التعريفات الغامضة حول المنطقة خصوصا في السنوات الأخيرة، حيث أن مصطلحات مثل الشرق الأوسط العظيم و الشرق الأوسط الكبير و الشرق الإسلامي غالبا ما تكون مستخدمة في الأدبيات العلمية و وسائل الإعلام مما جعل الإجابة على مسألة ما هي حدود المنطقة بالضبط، مسألة أكثر أهمية من أي وقت مضى، و إذا كان الأمر كذلك ألا يمكن تعريف المنطقة بشكل صحيح؟ أين يقع الشرق الأوسط؟ أين تبدأ و تنتهي حدوده الجغرافية (الكعكي، 1986)؟

بالرجوع إلى الكتابات الماضية في العصر القديم فإنه يمكننا رصد تصورات وتعريفات تتعلق بالشرق في الأعمال القديمة، حيث كان لهذه الأعمال تأثير مباشر على التصورات العقلية للعصور الحديثة، فقد كان الشرق في البداية يتألف من مصر في اليونان القديمة، أما في أوروبا العصور الوسطى، فقد استخدم الرومان مصطلح (**Oriens**) الذي يأخذ جذوره من الكلمة اللاتينية (**Oriens Sol**)التي تعني شروق الشمس لتعريف المنطقة، ثم استخدم ضمنيا للتعبير عن النصف الشرقي الذي يعبر عن الإمبراطورية البيزنطية و الرومانية، ثم لاحقا و في هذه الفترة استخدام المصطلح أيضا للدلالة عن شرق القدس التي سميت باسم الأرض المقدسة مع أوسع معانيها في سياق تقليد الكتاب المقدس.

لقد وضعت أسس العلاقة بين الغرب المسيحي و الشرق الإسلامي في سياق إثنين من النظم العقائدية المختلفة في فترة الحروب الصليبية في أوروبا في العصور الوسطى، أين أصبح الإسلام و المسيحية من أكثر الخاصيات المهمة المرتبطة بالشرق و الغرب (رياض، 1989).

كان مصطلح المشرق مستخدما عموما في أوروبا لتحديد منطقة ذات مجموعة واسعة من البلدان تشمل البلدان الناطقة بالعربية، تركيا، إيران، الهند و حتى الصين إلى غاية القرن التاسع عشر، و مع مرور الوقت استخدمت العديد من التعريفات المختلفة لوصف هذا المجال الإقليمي الواسع، فقد أكد **كراوس** (**Krause**)الذي أخذ في الاعتبار أن هناك تعريفات مختلفة في لغات مختلفة وفي أوقات مختلفة، بأن الوصول إلى تصنيف واضح فعلا و منهجي مرتبط بالشرق الأوسط غير ممكن، لكن إذا كان هناك شيء مشترك بين كل هذه التعريفات المختلفة، هو التصور الأوربي أو وجهة النظر الأوربية السائدة على هذه التعريفات، لأنه فقط عند النظر من أوروبا يصبح الشرق الأدنى، المتوسط، أو الأقصى محدد بدقة أكثر، لهذا فإنه من الضروري أن ننظر إلى تاريخ الإمبريالية من أجل فهم مصطلح الشرق الأوسط في سياقه الحديث.

بدأ السباق للاستيلاء و تقاسم الشرق الأوسط بين القوى الأوروبية العظمى بعد حملة نابليون على مصر(1798-1801)، فقد كان ينظر للمنطقة كوحدة متكاملة من قبل أوروبا، لهذا فان مشاكل المنطقة الجزئية لا يمكن أن تعالج بشكل مستقل، منذ ذلك الوقت أدمجت المنطقة في السياسة العالمية ككل و لا يزال الوضع على حاله حتى الآن.

كان الشرق يعني بالنسبة لأوربا حدود الإمبراطورية العثمانية التي كانت على شفا الانهيار في القرن التاسع عشر، و بدأ التفكير في تقاسم إقليم أو أراضي الإمبراطورية يتحول إلى صراع للمصالح الوطنية المختلفة بين القوى الأوروبية حول من سيأخذ أراضي الإمبراطورية العثمانية التي كانت في مرحلة الانهيار؟ هذا الصراع كان يسمى بالمسألة الشرقية في أوروبا.

يعتبر الشرق الأوسط من المناطق الإقليمية الأكثر غموضا مقارنة مع المناطق و الأقاليم الأخرى في العالم، و قد عبر عنه الباحثون و الكتاب و حتى الهيئات الحكومية و الدولية بمصطلحات متباينة سواء للدلالة عليه كلا أو جزئيا و من أهمها ما يلي:اللفانت (**Levant**)، الشرق القديم أو الأقدم (**Most Ancient East**)، الصحاري الكلاسيكية (**Classical Deserts**)، جنوب غرب آسيا

(**South West Asia**)، الشرق القريب(**Hither East**)، الشرق الأدنى(**Near East**) ، الشرق الأوسط (**Middle East**)(الكعكي، 1986، صفحة 147).

في سبتمبر 1902 قام ماهان (**Mahon**)بنشر مقالا بعنوان " الخليج الفارسي والعلاقات الدولية "في مجلة "**THE British national Review**" حيث أنه و لأول مرة أستخدم عبارة الشرق الأوسط للدلالة عن خليج عدن و الهند، وفقا لمفهوم ماهان كان الشرق الأوسط المنطقة التي تقع بين السويس وسنغافورة.

بعد شهرين من صدور مقالة ماهان، قام مراسل صحيفة التايمز البريطانية شيرول فلنتين (**Chirol Valentin**) بنشر سلسلة من المقالات تحت عنوان "مسألة الشرق الأوسط "، و بالتالي مصطلح الشرق الأوسط تمركز في الهند و أصبح راسخ في الأدب الدولي بعد منشورات ماهان و شيرول.

أدى تحالف الإمبراطورية العثمانية مع ألمانيا ضد فرنسا و بريطانيا من أجل منع الانهيار في الحرب العالمية الأولى، إلى تصعيد المنافسة بين الدول الأوروبية الذين كانوا يعملون لكسب التأثير على الإمبراطورية العثمانية، حيث قامت فرنسا و بريطانيا بدعم العرب ضد الإمبراطورية العثمانية، و في نفس الوقت وقعتا سرا على معاهدة سايكس بيكو(1916) التي تتضمن كيفية تقاسم الأراضي العربية التي كانت لا تزال تحت الحكم العثماني.

وفقا للخطة السرية و فيما بعد من قبل مؤتمر سان ريمو (1920)، تركت سوريا و لبنان إلى فرنسا و تركت فلسطين و العراق و شرق الأردن إلى الإدارة البريطانية، و قد كانت هناك حاجة إلى تغيير التعاريف و المحتويات المتعلقة بالشرق الأوسط في ضوء هذه التطورات التاريخية، و وفقا لوجهة النظر البريطانية فقد حدد وينستون تشرشل سياق مصطلح الشرق الأوسط كمنطقة ممتدة من البوسفور إلى الحدود الغربية للهند في مارس 1921، و بهذه الطريقة بدأ مصطلح الشرق الأوسط يغطي المنطقة الجغرافية التي كان يقصد بها من قبل الشرق الأدنى (رياض، الشرق الاوسط:دراسة في التطبيق الجيوبوليتيكي و السياسي، 1984).

3. مصطلح الشرق الأوسط خلال الحرب الباردة

بدأت بنية المنطقة في التغير بالتوازي مع التغييرات الهيكلية للقوى العظمى على الصعيد العالمي فبعد الحرب العالمية الثانية، ضعفت بريطانيا و أصبحت حدود المنطقة غير مضبوطة، و حل السلام الأمريكي في المنطقة بدلا من السلام البريطاني حيث أصبحت منطقة الشرق الأوسط أكثر إستراتيجية بسبب مواردها الطاقوية بالنسبة لأمريكا.

أصبح مصطلح الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الثانية أكثر شعبية و يغطي منطقة ممتدة من مالطا إلى إيران وسوريا، ومن هناك إلى اثيوبيا.و قد ترسخ المصطلح بطريقة قوية في أدبيات العلاقات الدولية خصوصا بعد الحرب، في حين أن مصطلح الشرق الأدنى بدأ يفقد أهميته و محتواه في مقابل الاستخدام المكثف لمصطلح الشرق الأوسط (احمد، 1991).

على الرغم من تسوية مصطلح الشرق الأوسط في العالم، إلا أنه ليس هناك اتفاق مشترك على إمتداد المنطقة الجغرافي و بلدان الشرق الأوسط إذن أين هو مكان الشرق الأوسط بالضبط؟

يتم وضع حدود الشرق الأوسط بأشكال مختلفة للغاية بسبب اختلاف المصالح، المعايير، و الأنظمة العالمية، و في معنى أوسع يمكننا أن نقول أن منطقة شرق الأوسط تغطي المنطقة من إثيوبيا جنوبا، تركيا شمالا، أفغانستان وباكستان شرقا إلى المغرب الأقصى غربا كما أن هناك معايير مختلفة جدا ومقتربات عديدة لتحديد حدود الشرق الأوسط، سنحاول إظهار كيفية تعقد الموضوع في الأدبيات العلمية من خلال توفير عينات عديدة من مختلف وجهات النظر السائدة.

عندما ننظر إلى الكتّاب الذين يأخذون في الاعتبار مراعاة المعايير الجغرافية المتصلة برسم حدود الشرق الأوسط نرى على سبيل المثال، أن الشرق الأوسط وفقا للباحث تونتشديليك (**Tunçdilek**) هو المنطقة الممتدة بين البحر الأسود و البحر الأبيض المتوسط و البحر الأحمر و الخليج العربي وبحر قزوين (زكي، 1995).

أما الجغرافي السويسري بوش (**Boesch**)، فيستخدم المصطلح الألماني **Osten Mittlerer**) للدلالة عن الشرق الأوسط و يرى بأن حدود المنطقة كمنطقة جغرافية هي بين ساحل بلاد الشام و ريفها، و السهول من نهري دجلة والفرات وشمال مناطق الصحراء العربية والخليج العربي (منصور،

1995)، كما عرف المفكر الأمريكي هوريويتز (**Hurewitz**) الشرق الأوسط بأنه المنطقة بين المغرب وأفغانستان.

و يرى الباحث براون (**Brown**) بأن الشرق الأوسط هو حدود الإمبراطورية العثمانية السابقة، أي أن الشرق الأوسط حسب براون يشمل: الجزائر و تونس و ليبيا و لبنان و مصر و سوريا و فلسطين و العراق و شبه الجزيرة العربية و بالطبع تركيا.

يرى هيدسون (**Hudson**) أن الشرق الأوسط ككل يتكون من ثلاثة أنظمة جزئية: الشرق العربي(المشرق)، و شمال أفريقيا(المغرب العربي) ومنطقة الخليج(الخليج) (الوهاب، 1995). و في سياق مشابه يقاسمه بسام طبي **Bassem Tibi** الأفكار بأن الشرق الأوسط يتكون من ثلاث مناطق فرعية، لكنه يصنف بلدان هذا النظام الفرعي إلى دول مركزية و دول الحافة.

بشكل عام الاقتراب من تحديد المنطقة والحد من المعايير العديدة على مستوى الأدبيات العلمية حتى نهاية الباردة الحرب كان مثل ما هو موضح أعلاه، ومع ذلك فإن التغييرات الكبيرة في العلاقات الدولية بعد انهيار الإتحاد السوفيتي وبعد استقلال دول آسيا الوسطى غيرت جذريا المصطلحات المتعلقة بالشرق الأوسط.

4. نهاية الحرب الباردة و تأثيرها على مصطل الشرق الأوسط

مع انهيار الإتحاد السوفيتي، حدثت تغيرات كبيرة في ميدان العلاقات الدولية و جميع المناطق الجغرافية في العالم بما فيها الشرق الأوسط الذي تأثرت بعمق، حيث أن جميع التعاريف و القيود المفروضة على الشرق الأوسط قد تغيرت.

فبعد انهيار الإتحاد السوفيتي دول مثل أذربيجان وكازاخستان و تركمانستان و قرغيزستان و أوزبكستان و طاجيكستان التي كانت ذات غالبية سكانية مسلمة وكانت ذات تقليد ثقافي إسلامي في آسيا الوسطى والقوقاز حصلت على استقلالها.و وفقا لبعض الكتاب فإن هذه البلدان التي لا تزال في عملية تحول متعددة الأوجه تسببت في تشكيل منطقة كبيرة جديدة في المعنى الثقافي والسياسي بسبب هوياتها الإسلامية، على سبيل المثال وفقا للباحث لويس (**lewis**) هذه البلدان التي هي جزء من الشرق الأوسط بالمعنى الثقافي والعرقي و اللغوي والديني في الماضي قد اكتسبت مرة أخرى هذا البعد التاريخي بعد استقلالها".

كما أكد الباحث روبينز (**Robinz**) بأن كلا المنطقتين تمتلكان إرث تاريخي و ثقافي وسياسي مشترك، و أن حدود الشرق الأوسط يمكن توسيعها لتشمل آسيا الوسطى بسبب أربعة معايير:

- نظام الدولة؛
- الثقافة؛
- الدين؛
- اللغة.

أحد المؤلفين الذين يتقاسمون وجهة النظر هاته هو الباحث تراتنر (**Trautner**) الذي لا يقترح أكثر من مصطلح المشرق الإسلامي للمنطقة لأن الثقافة الإسلامية هي السائدة جغرافيا و التي تبدأ من دولة الصحراء الغربية إلى طاجيكستان و إن كان في أشكال مختلفة، و في هذا السياق إختار لندولم (**Lindholm**) أيضا مصطلح الشرق الأوسط الإسلامي.

الباحث بفيتش (**Pfetsch**) الذي يعد خبير في الصراع في العلاقات الدولية يستخدم مصطلح العالم العربي الإسلامي التي لديها تقريبا نفس المعنى مع الأخذ بعين الإعتبار الألفة الثقافية بين المنطقتين.

وقد ذكر الباحثان سكولز و بيتنر (**Büttner/Scholz**) بأن توسيع حدود الشرق الأوسط لتشمل آسيا الوسطى كانت نتيجة للتطورات السياسية الجديدة التي تشكلت بعد انهيار الإتحاد السوفيتي، و قد استخدما مصطلح العالم الشرقي الإسلامي أو المنطقة الشرقية الإسلامية للمنطقة الجغرافية من موريتانيا إلى آسيا الوسطى، لأن تحديد الهوية ينبع من متطلبات تاريخية، سياسية أو إعلامية، كما أن المنطقة الجغرافية من موريتانيا إلى أفغانستان لديها بنية صراعية مشتركة بمصطلحات العلاقات الدولية.

وقد أعرب أيضا الباحثان غانتزل و شوينغهامير (**Gantzel/Schwinghammer**)بأن توسع المنطقة لتشمل القوقاز و آسيا الوسطى كان بعد تفكك الإتحاد السوفيتي و قد أدمجا جورجيا في الشرق الأوسط خلافا لبقية الكتاب.

نجد أن الباحث شميد (**Schmid**) يقسم المنطقة ككل إلى أربع مناطق فرعية مع الأخذ بعين الإعتبار مختلف المناطق الصراعية الجغرافية بسبب التغيرات السياسية في 1990، و هذه المناطق هي:

1- منطقة آسيا الوسطى، 2- منطقة المشرق، 3- منطقة الخليج، 4- منطقة المغرب العربي.

و يؤكد الباحث باويلكا (**Pawelka**) بأن حدود المنطقة التي تمتد من ساحل المحيط الأطلسي من إفريقيا إلى جبال التاي في آسيا الوسطى تمتلك بنية ديناميكية و تتميز بالطابع الإسلامي.

إذا فقد أدت نهاية الحرب الباردة عبر انتصار الولايات المتحدة على الإتحاد السوفيتي دون حرب إلى طرح الولايات المتحدة رؤية مختلفة لمنطقة الشرق الأوسط على مكانة عليه زمن الحرب الباردة، فالولايات المتحدة على لسان رئيسها الأسبق جورج بوش الأب بعد أحداث 2 أوت 1990، أعلن أن الولايات المتحدة ذهبت للخليج ليكون القرن القادم أمريكيا و اعتبرت أن الخليج هو جزء من الشرق الأوسط (الشكري، 2012).

بعد حرب الخليج الثانية عام 1991 و تزايد الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة و توقيع اتفاق غزة-أريحا أولا، و الاتفاقيات المنفردة بين الكيان الصهيوني و كل من الأردن و منظمة التحرير الفلسطينية، طرحت الخارجية الأمريكية عام 1991 تعريف جديد لمنطقة الشرق الأوسطية"بأنها المنطقة الممتدة من إيران شرقا حتى المغرب غربا بالإضافة إلى فلسطين المحتلة"، و هذه النظرة الأمريكية الجديدة لمنطقة الشرق الأوسط كانت بالشراكة مع الكيان الصهيوني حيث طرح كلاهما ما يعرف بمشروع الشرق أوسطية لاحتواء المنطقة و جعلها خاضعة للنفوذ الأمريكي الصهيوني.

عملت الولايات المتحدة على إعادة تعريف منطقة الشرق الأوسط وفق ما يخدم مصالحها، و من ضمنها العودة إلى التفكير السابق لدمج المنطقة العربية بمنطقة أوسع جغرافيا و سكانيا و ذلك من خلال ربط الأقطار العربية في الشرق العربي بتركيا و إيران و إدخال الكيان الإسرائيلي ضمن جغرافيا المنطقة من خلال المشروع الشرق أوسطي.

هذا المفهوم أو التصور الجديد حسب الإستراتيجية الأمريكية سيزيد من الاستفادة من الثروات الموجودة في المنطقة و يمنع أي تهديد لمنابع النفط في الخليج الذي تسيطر عليها الولايات المتحدة منذ حرب الخليج الثانية عام 1991 عبر التواجد العسكري في المنطقة (الشكري، 2012، صفحة 516).

حاولت واشنطن فرض تصورها لمنطقة الشرق الأوسط من خلال العديد من القضايا المتداخلة بين بعدها العالمي و الإقليمي مثل التسلح و اللاجئين و المياه و التعاون الاقتصادي مع السعي لتأسيس نماذج للتعاون و التكامل الاقتصادي و الأمني على أسس جيو-إستراتيجية.

في هذا الإطار تلاقت المصالح الأمريكية و الإسرائيلية في إعادة صياغة خريطة المنطقة عبر طرح صيغة ملائمة لإدخال إسرائيل في منطقة ينزع عنها مواصفات الجغرافيا التاريخية و سمات التاريخ الحضاري و الثقافي، و يشدد فيها على الجغرافيا الاقتصادية المعاصرة في نظام السوق العالمية، و يتم خلق سوق شرق أوسطية تكون فيه أمريكا قوة جاذبة و مهيمنة إلى جانب إسرائيل من الناحية الاقتصادية و التكنولوجية و الأمنية في المنطقة.

اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية منذ العام 1997 على المفهوم الأوسع لتعبير الشرق الأوسط الكبير، حيث أن هذا المفهوم الجديد يضم كل من تركيا و إيران و دول آسيا الوسطى الإسلامية الغنية بالبترول و السوق الضخمة للسلع الأمريكية، و هو ما أكدته فيما بعد خطتها المعلنة و المعروفة بمشروع الشرق الأوسط الكبير(بلدان العالم العربي، باكستان، افغانستان، إيران، تركيا، إسرائيل).

إن الانتقال بين التعريفات في العصر الأمريكي لا يعود لتقسيمات التاريخ و الجغرافيا أو القوميات و الأقاليم بل لاحتياجات الأمن و الطاقة و رسم الخريطة الإستراتيجية الأمريكية و المتمثلة في:

- فصل بلدان المشرق عن دول بلدان المغرب العربي، و يتم ربط الأخير بالدائرة الجنوبية للمتوسط.
- السعي الحثيث نحو تقسيم الوحدات القطرية الموجودة باسم الفوارق العرقية و الدينية.
- إلغاء كل ما يمكن أن يقال عن الأمة العربية خاصة من خلال تعريف الشرق الأوسط عبر ربط المشرق بتركيا و إيران و العديد من دول آسيا الوسطى.
- التأكيد على دمج إسرائيل كأمر واقع و كجزء من هذا التقسيم الجغرافي عبر ما يسمى بالسوق الشرق الأوسطية.

ما يمكن ملاحظته حول هذا التعريف الجديد للولايات المتحدة للشرق الأوسط هو:

– أنه تعريف لا يخضع لخطوط المعارك الحربية ومواقع القتال كما كان زمن بريطانيا العظمى، أو كما كان بالنسبة للحرب الباردة و صراع الكتلتين حول مواقع التحالف الإيديولوجي، و لا يعني هذا عدم دخول البعد العسكري في هذا التعريف، لكن التعريفات السابقة ترسم الحدود وفق وجود القوات و العمليات، بينما التعريف الأمريكي يضع الحدود أولا للمفهوم ثم يجعل القوات العسكرية و الأدوات الاقتصادية و الثقافية تتحرك فوقها و تقيم عملياتها وقت ما تشاء.

– مفهوم الشرق الأوسط بمعناه الواسع وفق نظرة أمريكا يمثل جزءا كبيرا من منطقة الارتطام أو البيئة التي يمكن أن ينطبق عليها رؤية ماكندر (**makinder**)، فالموقع الذي رسمته أمريكا يسهل لها الانقضاض و العبور للسيطرة على أي منطقة ما يعني الإنفراد العالمي أيضا.

– أن هذا التعريف يقسم المنطقة و يشكلها وفق الاحتياجات الاقتصادية الأمريكية و في مقدمتها الطاقة ثم الأسواق التجارية، و بالتالي فخطوط الطول و العرض في هذه الخريطة الجديدة ستحدد سهولة الإمدادات بالطاقة و سرعتها و رخصها إلى جانب التحكم فيها بعيدا عن المنافسين.

إذن مصطلح الشرق الأوسط بعد نهاية الحرب الباردة ظل مصطلحا غامضا فمن الناحية الجغرافية ليس له حدود واضحة، فتارة يضم دولا عربية و تارة أخرى يخرجها خارج إطار هذا المفهوم خصوصا دول المغرب العربي، و البعض خاصة الولايات المتحدة يوسع مصطلح الشرق أوسطي ليشمل أفغانستان مع إمكانية تمدده شرقا و شمالا إلى تركيا،مع فرض إسرائيل دائما ضمن هذه الكتلة.

الخلاصة أن مفهوم الشرق الأوسط من المنظور الغربي يتضمن دلالات معينة تخدم أهداف لا تتفق بالضرورة مع المصالح العربية بقدر ما تحقق مصالح قوى أخرى على رأسها الولايات المتحدة فهذا المفهوم لا يحدد منطقة جغرافية معينة و هو لا ينبع من طبيعة المنطقة العربية، فهو بإدخاله لبلدان غير عربية جعل البلدان العربية مجرد جزء من منطقة كبيرة تضم قوميات و أجناس و أديان عديدة (معوض، 1996).

5. الشرق الأوسط بين المفهوم و المشروع من 11 سبتمبر 2001 إلى الربيع العربي

أثرت الهجمات الإرهابية في 11 سبتمبر 2001 عميقا في النظام الدولي، حيث غيرت جذريا المصطلحات و مجال النقاش المرتبط بالشرق الأوسط، و على الفور بعد الهجمات الإرهابية دخلت

مصطلحات مثل الشرق الأوسط الكبير و الشرق الأوسط العظيم أو الشرق الأوسط الإسلامي الكبير في أدبيات العلاقات الدولية(**Ozalp, 2011**) .

منذ القرن 19 إلى غاية اليوم، فإن المصطلحات حول الشرق الأوسط يتم تحديدها من قبل القوى العظمى، و اليوم حدود الشرق الأوسط وبلدان الشرق الأوسط تحدد فقط من قبل القوة العظمى الوحيدة المهيمنة على النظام الدولي و هي الولايات المتحدة الأمريكية.

كتب عالم السياسة الأمريكي هاركافي (**Harkavy**) للمرة الأولى و بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر مباشرة مقالا حول مفهوم " الشرق الأوسط الكبير"، و في ضوء التطورات الجيوسياسية تكلم فيه عن التطورات الجديدة و تأثيرها على مصطلح الشرق الأوسط، حيث جعلت هجمات الحادي عشرة من سبتمبر الشرق الأوسط يصبح مركز إهتمام السياسة الخارجية الأمريكية (**Lynch & Robert S, 2008**) ، بعدها و في وقت لاحق طور إستراتيجيين مثل رونالد أسموس (**Ronald D. Asmus**) و كينيث بولاك (**Kenneth M.Pollack**) فكرة التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط، حيث قاموا بنشر وجهات نظرهم كمشروع انتقالي عبر أطلسي **Transatlantic** جديد في خريف عام 2002، و وفقا لأسموس و بولاك فإنه يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تأخذ المبادرة لأجل التحول السياسي في الشرق الأوسط بعيد المدى (**Lynch & Robert S, 2008, p. 13**).

دعا المحافظين الجدد الذين كانوا مؤثرين في إدارة جورج بوش الابن إلى بداية جديدة و جذرية في مسار دمقرطة الشرق الأوسط، و في هذا السياق بدأ الرئيس بوش التعبير عن مشروعه المسمى"مبادرة الشرق الأوسط الكبير"(**GMEI**) الذي يهدف إلى إقامة الديمقراطيات في العالم الإسلامي كله في كل فرصة حتى نهاية عام 2003 (**Lynch & Robert S, 2008, p. 13**)، و حسب الكثير من المفكرين فإن مصطلح الشرق الأوسط الكبير بدأ عندما استغلت دوائر اليمين المسيحي الأمريكي المتطرف و خاصة الثنائي الخطر في إدارة جورج بوش الإبن ريتشارد بيرل (**Richard Perle**) و دوغلاس فايث(**Douglas Faith**) هجمات الحادي عشر من سبتمبر من سنة 2001 و بعد العدوان على العراق و احتلاله و الإطاحة بالرئيس العراقي صدام حسين عام 2003، لأن تفرض تصوراتها عما أسمته الشرق الأوسط الكبير و

الذي يقوم على إعادة صياغة كاملة للخريطة الجيوإستراتيجية للمنطقة، و ذلك عبر تذويب الوطن العربي في نطاق إستراتيجي أوسع (عبد القادر رزيق).

في قمة مجموعة الدول الصناعية الثماني(**G8**) المنعقدة سنة 2004، تقدمت الولايات المتحدة بوثيقة إلى القمة تحت عنوان:"مشروع الشرق الأوسط الكبير"، حيث ترى الولايات المتحدة أن هناك ثلاث معوقات أساسية تحول دون تطور بلدان الشرق الأوسط و تنعكس بالتالي سلبا على المصالح الأمريكية و الغربية، و هذه المعوقات هي:

-غياب الحرية(أزمة الديمقراطية).

-بطء المعرفة و محدودية الارتكاز إلى العلوم الحديثة في التنمية العامة.

-اختلاف الهياكل الاقتصادية و تدني الإنتاجية (مراد،، 2009).

و قد تألفت الجغرافيا التي وصفت بأنها الشرق الأوسط الكبير في المشروع من بلدان جامعة الدول العربية، الكيان الصهيوني، إيران، تركيا، أفغانستان، باكستان، و لم تدرج دول آسيا الوسطى في المشروع، و ذلك لأن هذه الدول تعمل بالفعل مع الولايات المتحدة في معركتها ضد الإرهاب و بدأت الولايات المتحدة بنشر القواعد العسكرية في أراضيها بعد هجمات 11 سبتمبر (**Ozalp, 2011, p. 13**).

واجه مشروع الشرق الأوسط الكبير بعد نشره انتقادات شديدة سواء من طرف العالم العربي و الإتحاد الأوروبي الذي أعلن عن مفهومه الأول تحت عنوان " الشراكة الإستراتيجية للإتحاد الأوروبي مع منطقة البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط " يوم 22 مارس 2004 كبديل عن مشروع الشرق الأوسط الكبير، و في هذا السياق دارت نقاشات مكثفة و مقابلات عديدة في قمة الثمانية **G– 8** التي عقدت في سي آيلاند في 9 جوان 2004 للتفاهم حول المفهوم، حيث تم الإتفاق على استبدال مفهوم مبادرة الشرق الأوسط الكبير(**GMEI**) بمبادرة الشرق الأوسط العظيم (**BMEI**) و يكمن الفرق بين مفهوم الشرق الأوسط العظيم عن الشرق الأوسط الكبير في أن الأول يتسع ليشمل دول الخليج و بلدان شمال أفريقيا (**Ozalp, 2011, p. 13**).

لجأت الولايات المتحدة الامريكية إلى توظيف المعوقات الثلاث المذكورة أعلاه من أجل تبرير تدخل أمريكي على المستويات كافة عسكرية، سياسية، إقتصادية و ثقافية، و هو ما جسده التدخل في أفغانستان سنة 2001 و العراق سنة 2003، و قد راحت الولايات المتحدة تدعوا أوربا بإلحاح للمساعدة في إعادة هيكلة الشرق الأوسط بما يستجيب لحاجات الرأسماليات الصناعية و في مقدمتها مجموعة دول الثماني(**G8**) إلى شراكة بعيدة المدى مع قوى الإصلاح في الشرق الأوسط، و هي قوى تقوم أمريكا و أوربا بخلقها و تهيئتها و تثقيفها و تنشئتها، أما اولويات الإصلاح من المنظور الأمريكي فتتمحور حول ثلاث قضايا مركزية:

-تشجيع الديمقراطية.

-بناء مجتمع معرفي.

-إصلاحات هيكلية اقتصادية (مراد،، 2009، صفحة 74).

إذا كان مشروع الشرق الأوسط الكبير قد بدأ فعليا باحتلال العراق إلا أنه فشل بشكل كبير في العراق بسبب المقاومة العراقية، ثم تلاه فيما بعد ما يسمى الشرق الأوسط الجديد الذي طرحته وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس في ذروة الحرب الإسرائيلية على لبنان عام 2006، حيث قالت"إن هذه الحرب سوف تنتهي بإقامة الشرق الأوسط الجديد" (عبد القادر رزيق، الصفحات 80-81).

جاء مشروع الشرق الأوسط الجديد لإعادة صياغة المنطقة ورسم خرائط سياسية جديدة على أسس عرقية و طائيفية و لعلى الصراع السني-الشيعي و قضية الأكراد أهم محاور هذا المشروع (عبد القادر رزيق، صفحة 82).

و قد نشرت مجلة القوة العسكرية الأمريكية سنة 2006 خارطة جديدة للشرق الأوسط، حيث حددت ملامح جديدة لخارطة شرق أوسطية جديدة أعلنت عنها رايس، إنطلاقا من فكرة أن الطوائف المتباينة في الشرق الأوسط و التي يمكن التعايش فيما بينها من الممكن تجميعها بكيان سياسي واحد، و الدول المستهدفة بالتقسيم و الاستقطاع هي إيران، تركيا، العراق، السعودية، باكستان، سوريا، الإمارات و دول قد تتوسع لأهداف أمريكية-إسرائيلية هي:الأردن، اليمن، أفغانستان، و الدول الجديدة التي ستنشأ حسب هذه المجلة هي ثلاث دويلات:كردستان، سنيستان، شيعستان.

الشرق الأوسط الجديد من وجهة النظر الغربية هو مشروع واسع يشمل كل الجوانب السياسية و الاقتصادية و يضم كل المنطقة العربية، فالشرق الأوسط الجديد هو مشروع ليس لإعادة رسم الخريطة السياسية فقط، و لكن لرسم الخريطة الاقتصادية أيضا بما يؤدي إلى وضع ترتيبات إقليمية جديدة بخصوص قضايا مختلفة منها قضية التعاون الاقتصادي بين تكتل يضم دول الشرق الأوسط التي تشمل بالإضافة الى الدول العربية إسرائيل.

إن انتصار المقاومة اللبنانية بزعامة حزب الله في حرب 2006 و تمكن حماس من الصمود في وجه الهجمة العسكرية التي شنتها اسرائيل على قطاع غزة 2009 و انسحاب أمريكا من العراق، شكل بوجه عام الفشل الكبير لمشروع الشرق الأوسط الجديد الذي أعلنت رايس عن ولادته، وبالتالي غاب مصطلح الشرق الأوسط الجديد لفترة وجيزة ليعود حسب بعض المحللين مع ما يسمى بحراك الربيع العربي الذي أدى إلى تغيير العديد من الأنظمة العربية (عويد، 2009).

إن تغيير الأنظمة في الشرق الأوسط الذي حدث في نهاية عام 2010 وبداية عام 2011 و الذي لا يزال مستمر في بعض الدول كسوريا و ليبيا، لم يكن بعيد عن التدخل الأمريكي و الغربي الذي يستهدف إحداث تغيير في بيئة الشرق الأوسط الإستراتيجية، فكان تغيير هده الأنظمة بمثابة الخطوة الأولى بإتجاه إحداث تغيير شامل يتلائم مع ما تتطلبه المصلحة الأمريكية لكن هذا الأمر لا يعني إهمال وعدم الأخذ بعين الاعتبار الدوافع الذاتية لشعوب المنطقة وما قدموه من تضحيات لإسقاط هذه الأنظمة، غير أن هذا الأمر وضف من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ليتوافق مع ما تم طرحه من مشاريع سابقة كمشروع الشرق الأوسط الجديد (بكر، 2012).

ما يمكن قوله أن مفهوم الشرق الأوسط تم إحياءه من جديد عبر إدخال البلدان العربية فيما يسمى بالربيع العربي والذي ستسعى من خلاله الدول الكبرى إلى انتشار الفوضى في المنطقة بما يؤول في نهاية المطاف إلى تفتت المجتمعات العربية إلى كيانات مذهبية وطائفية وإثنية، فالتعددية الإثنية موجودة في معظم دول الشرق الأوسط في ظل غياب الأنظمة السياسية فإنها ستتفاعل وتصبح منتشرة بشكل كبير وهو ما تشهده سوريا حاليا حيث تحولت الحرب فيها إلى حرب عرقية(عرب و كرد) وحرب إثنية(سنة وشيعة).

بشكل عام، يستهدف الغرب بداية ودعم مسارات الإصلاح السياسي والاقتصادي في غالبية البلدان الإسلامية، لخلق بنية مشتركة مستندة على الاستقرار بعيد المدى و الازدهار و الديمقراطية التي ستضمن له حماية مصالحه من خلال هذه المشاريع، وبطبيعة الحال ما هو مفقود في هذه المشاريع هو غياب إستراتيجية حول كيفية تحقيق هذا الهدف، فهناك هناك خلاف حاد بين الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي من حيث الأسلوب، هذا أيضا يقلل من فرصة نجاح جميع المشاريع في المنطقة.

6. خاتمة:

إن ما يمكن أن نخلص إليه من خلال هذه الورقة البحثية حول التحولات في مضمون مصطلح الشرق الأوسط في العلاقات الدولية، هو أن مفهوم الشرق الأوسط يخضع دائما للتغيرات في السياسة العالمية و التطورات الإقليمية و لمصالح القوى العظمى في النظام الدولي، كما أن مفهوم الشرق الأوسط يصعب ضبطه و تحديده بشكل دائم، و هو ما أثبتته التغيرات في المفهوم عبر مختلف المراحل التاريخية، بحيث أن هذا المصطلح ظل يخضع لتوجهات و مصالح القوة المهيمنة في كل مرحلة تاريخية.

و من النتائج التي يمكن أن نخلص إليها نذكر مايلي:

أولا: يعتبر مفهوم الشرق الأوسط مفهوم متحرك غير مستقر بالمعنى التاريخي، حتى في أبعاده الجغرافية و السياسية فقد تغير تسميات و مضامين هذا المصطلح، و ذلك حسب إستراتيجية الدول المتنافسة على تقسيم مناطق النفوذ في العالم.

ثانيا: يعد مصطلح الشرق الأوسط الكبير هو الأكثر شيوعا و استخداما في الأدبيات العلمية و الرأي العام، و مع ذلك فإن قضية ما يندرج أو ما هي الدول التي يشملها هذا المصطلح فهي ليست واضحة مثلما رأينا في التعاريف السابقة فالبلدان التي يشملها الشرق الأوسط الكبير تختلف وفقا لأهداف و مصالح أولئك الذين يستخدمون المصطلح.

ثالثا: أثرت أحداث الربيع العربي التي اندلعت مع نهاية سنة 2010 بشكل كبير على منطقة الشرق الأوسط، حيث شهدت المنطقة تحولات عميقة أدت إلى إعادة ترتيب خريطتها السياسية و ذلك بسبب الانقسامات الإقليمية و المصالح الحيوية للقوى الفاعلة، و كل ذلك يهدف إلى إعادة تعريف منطقة الشرق الأوسط حسب الرؤية الأمريكية لتضم دويلات جديدة ضمن الدول القائمة، أي إعادة تقسيم المنطقة

هوياتيا، و كل ذلك يدخل ضمن مخطط الشرق الأوسط الكبير الذي وضعه المؤرخ البريطاني الشهير برنارد لويس.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية

1. المخادمي عبد القادر رزيق، مشروع الشرق الأوسط الكبير الحقائق والأهداف والتداعيات(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية الدار العربية للعلوم).

2. جلال عبد الله معوض، الوطن العربي و الشرق الاوسط:مشكلة الهوية، مجلة شؤون عربية، مارس 1996، صفحة 142.

3. صلاح احمد زكي، النظام العربي و النظام الشرق اوسطي(القاهرة:دار العالم الثالث، 1995).

4. عدنان عويد. (14 سبتمبر, 2009).
http://saotaliassar.org/Writer/AdnanUwaied/SyriaUndEndeMit.htm. تاريخ الاسترداد 14 09, 2020، من صوت اليسار العراقي.

5. علاء عبد الوهاب، الشرق الاوسط الجديد:سيناريو الهيمنة الاسرائيلية (القاهرة:سينا للنشر، 1995).

6. علي بشار بكر. (2012).
https://www.nahrainuniv.edu.iq/en/node/3203. تاريخ الاسترداد 14 09, 2020، من جامعة النهرين.

7. فاروق يوسف احمد، ما هو الشرق الاوسط المعاصر:مدخل الى اجابات متعددة (القاهرة: المركز القومي لدراسات الشرق الاوسط،اوراق الشرق الاوسط، 1991).

8. كمال سالم الشكري، مشروع الشرق أوسطية و الامن العربي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية و القانونية، العدد1، 2012، صفحة 516.

9. محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية (بيروت:دار النهضة العربية، 1989).

10. محمد رياض، الشرق الاوسط:دراسة في التطبيق الجيوبوليتيكي و السياسي (بيروت:دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1984).

11. محمد مراد، السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي بين الثبات الإستراتيجي و المتغير الظرفي (بيروت: دار المنهل اللبناني، 2009).

12. ممدوح محمود مصطفى منصور، الصراع الامريكي السوفياتي في الشرق الاوسط (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1995).

13. يحي احمد الكعكي، الشرق الاوسط و الصراع الدولي (بيروت: دار النهضة العربية، 1986).

المراجع باللغة الأجنبية

1. Lynch, T. J., & Robert S, S, After Bush :THE CASE FOR CONTINUITY IN AMERICAN FOREIGN POLICY,(New York: CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 2008).

2. Ozalp, O. N, Where is tThe Middle East? The Definition and Classification Problem of The Middle East as a Regional Subsystem in International Relation, TJP Turkish Journal of Politics, 2001, N2, p. 12.

3. Pearcy, G. E, The Middle East - an Indefinable Region (Washington: Department of State Publication, 1964).